

النقد

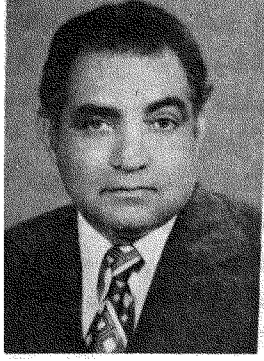
وحركة التجريب

ندوة ساهم فيها : الناقد ، والروائي : جبرا
ابراهيم جبرا ، الشاعر عبدالوهاب البياتي ،
الناقد الدكتور جلال النخياط . . وأدارها مراسل
الاداب في العراق : ماجد السامرائي)

من يرصد مسيرة « الآداب » عبر خمسة وعشرين
عاما قطعها منذ صدور عددها الاول حتى اليوم ، يجد
انها قدمت الكثير ، على كل مستويات الثقافة العربية ،
وفي مختلف حقولها الابداعية . . وبالذات على صعيد
« اتنقد » - الذي يهمننا الآن بحثه ورصد آفاق المساهمة
التي قدمتها « الآداب » في حقله . . سواء في ما يتعلق
بتاصيل مفهوم نقدي عربي جديد ، أم على مستوى الممارسة
النقدية لما نشره من نتاج ، والنتاج العربي عموما . ولا
أظن ان هناك من ينكر الدور الذي لعبه ذلك المسار
الجديد الذي اختطته ، والتمثل في باب « قرأت العدد
الماضي من الآداب » ، الذي ساهم ، ولا شك ، في اغناء
الحركة الابداعية العربية ، وعلى كل مستوى من مستوياتها
. . كما ساهم في بلورة مفهوم نقدي عربي سليم ، له بعده
الواقعي ، ولكن غير الدوغماتي . .

كل هذا ، جاء في حقبة دقيقة ومهمة من تاريخنا
العربي الجديد . . سواء فيما يتصل بالحياة الثقافية
نفسها ، أم بحركة الابداع - كتعبير عن الحقيقة

جبرا ابراهيم جبرا
عبد الوهاب البياتي
د. جلال النخياط



سديد من خلال « الآداب »

الدكتور جلال الخياط :

— حين صدرت « الآداب » في مطلع الخمسينات كانت حدثا فريدا ، أقبل عليها الأدباء ، واستقطبت حولها القراء .. وسرعان ما اتخذت سمات مدرسة أدبية ، ا تيار جديد في الادب .. واصبح النشر فيها نوعا من التقييم النقدي ، فاستطاعت ان تحرك الحياة الادبية ، من صدورها . فالمقالات التي تنشر ، والقصائد .. الخ .. تطرح آراء او اشكالا جديدة جريئة تحمل الاثارة للآخرين وقد دعمت المجلة ما تقدمه للقراء من ادب خالص بمقالات نقدية تتضمن نوعا من وعي ، او منحى نقدي غير متهود فالقارئ الجديد بدأ يخرج من اهاب المتلقي الصامت الذي لا دور له سوى الانصات والاقتناع والاعجاب والتصفيق ، مهما كان الاثر الادبي رديئا . ونزع الشاء مسوح التلقين والامر والخطابة والتقريبية والمباشرة . وحل المعضلات الكبيرة بأوامر شعرية سريعة ، دون تقديم الحلول العملية ، او الإيحاء بها ، ودون الالتفات الى ضرورة الفن وجماليته ومدى ابداعه في تقديم المضمون الحديث .

واتفق صدور « الآداب » ووجود جيل مستقل من المبدعين يريد ان يؤكد ذاته ، وجيل من القراء يتطلع الى ما يفنيه ويشريه .. فأخذت المبادرة في توجيه جمهور القراء ، وهم في اعتاب عهد جديد للكلمة العربية ، بتقديم الامثلة النقدية الجيدة والمقالات المستفيضة .

الحضارية العربية الجديدة — أم بحركة اواقف العربي ذاته .. وهي حقه حرجة ودقيقة .. شهدت هذا الميلاد الجديد في أكثر من مجال ..

وإذا كان عسيرا علينا في لقاء كهذا يغلب عليه طابع العفوية ، ان نحدد ، كما يفعل الباحثون ، الخصائص المميزة التي اضطلعت لها « الآداب » على صعيد الحركة النقدية ، وفي بلورة قيم التجديد في الادب العربي ، وفي الشعور بصورة خاصة .. فساعدت ، من خلال ذلك ، على نمو وتبلور كثير من القيم والمفاهيم والاتجاهات بما أفسحته من مجال كان ، ولا شك ، منبرا حرا ، في أفق الالتزام القومي التقدمي .. أقول : إذا كان عسيرا علينا هنا بحيث نعرض لجميع تلك الخصائص .. فانه بوسعنا ، كما أظن ، أن نتلمس بعض الابعاد ، ونحدد النتائج العامة ، او شيئا منها ، كمبادئ عامة في هذا الاتجاه الذي استطاعت « الآداب » عبر ربع قرن من حياتها، ان تستوعبه ضمن توجه جاد ، فتعبر عنه خير تعبير ، بحيث جاء خروجها على كثير من التقاليد الادبية والمفاهيم الثقافية الجامدة ، وارهاسا بفتح جديد ، ووعي جديد في الحياة الثقافية العربية .. اذ كانت ، في كثير مما طرحته عبر صفحاتها ، معبرة عن اصانة وعمق تبعمها ، او نتج عنهما تمييز جذري في التقاليد الادبية العربية . حبذا لو بدأ من هذا .. من هذه الحقائق ، التاريخية والموضوعية ، التي اكدتها « الآداب » .

عبدالوهاب البياتي :

لقد ظهرت مجلة « الآداب » في اوانها وزمانها ،
فكل المجلات التي سبقتها ، او كانت قد صدرت قبلها ،
كانت قد لفظت انفاسها ، او انها كانت تحتضر ، ولم
تعد مستطبعة ان تستوعب التيارات الجديدة التي بدأت
تسوق طريقها الى قلوبنا واذهان اقراء العرب ، بل ان
هذه المجلات الميتة ، او المحتضرة كانت تصب « الخلل »
بالزيت » ، او تضع العصي في عجلات حركة الادب النامية
الجديدة . . بل ان بعض رؤساء تحرير هذه المجلات قد
قدروا وقارهم وتحفظهم ، فشهروا سيوفهم الخشبية في
وجه التيار الجديد . ومن هنا جاء صدور مجلة « الآداب »
لكي يضع النقاط على الحروف ، ويؤسس حركة جديدة
على انقاض القديم المنهزم ، والذي فقد القدرة على
الديمومة والمواصلة والتواصل .

وكان اختلاف مجلة « الآداب » عن غيرها من المجلات
التي - ربما - صدرت ايضا في نفس عام صدورها ، انها
- اي الآداب - كانت مجلة قومية تقدمية ، تمثل جبهة
وطنية ثقافية عربية واسعة وعريضة . كما انها حاولت ان
تضع الحركة الادبية في الوطن العربي في مسارها
الصحيح ، وذلك بدعوتها الى الالتزام والى ربط حركة
التجديد بخاصة ، والادب بشكل عام بحركة المجتمع .
بعكس بعض المجلات الاخرى التي وقفت موقفا معاديا
وعدائيا من حركة ربط الادب بالمجتمع ، ومن الالتزام ،
وراحت هذه المجلات المشيوية تدعو الى محاربة الالتزام
ودعائه وممثليه . ولكن ان الدعوة الى الاغتراب
والكوزموبوليتية انهزمت امام مد الثورة العربية الكاسح
الذي ساد الخمسينات من هذا القرن ، وانتصرت
« الآداب » ايضا ، بحيث انها استطاعت ان تبلور اتجاهها
ادبيا قوميا انسانيا ، ظل هو الغالب حتى الآن ، بل
اصبح هو التيار الاصيل الوحيد .

جبرا ابراهيم جبرا :

.. ولعل احد اسرار نجاح « الآداب » هو انها
اقتحمت الميدان بفتوة وحيوية ونضارة . وفي سعيها نحو
الجديد لم تحصر همها فقط في ذوي الاسماء الكبيرة
(سابقا) ، على اهميتهم احيانا ، بل راهنت على الشباب .
وقد اتت المجلة عن طريق الدراسات النقدية والترجمات
المنتقاة ، برياح الوجودية التي كانت ، يومئذ ، قبي
عنفوانها . وتتفاعلها اليومي مع احداث الوطن العربي ،
في فترة مليئة بالعنف والفاجعة ، حولت ، عن قصد او
غير قصد ، فكرة الالتزام ، بمعناه الوجودي ، الى ما يخدم
الغرض القومي العربي . فاستقطبت ، في الحال ، عددا
كبيرا من ذوي المواهب الفتية في شتى اقطار اوطاس
العربي ، وبقي الشباب الذهني احدى صفاتها الظاهرة
لمدة طويلة . وكان لهذا الاستقطاب اثر قوي اخر في
تهديم الحواجز الاقليمية التي كانت من ظواهر النشر في

الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية . فشددت
التواصل الفكري السريع بين القطر والقطر ، مما ساعد
على ان يكون للمدرسة الشعرية الجديدة في العراق ،
مثلا ، اثرها المباشر على امتداد اساحة العربية . وكان
في هذا التواصل السريع المشحون بروح النقد والوعي
الفكري لاساليب التجديد وردود الفعل ، تعميق اضافي
مهم لحس اوحدة التصيرية والترابط الذهني بين ارجاء
اعروبة .

عبدالوهاب البياتي :

ان مجلة « الآداب » ظلت امينة لموقفها القومي
والانساني ، بالرغم من المحن والكوارث التي مر بها الوطن
العربي ، وظلت عرضة للمنع والمصادرة في اقطار عربية
في فترات زمنية مختلفة ، وكان يصيبها ، احيانا ، ما
يصيب المناضل الثوري من وهن وتعب وقلق وجزع ،
ولكنها ظلت في حدود الخط العام ، كما قلت ، امينة
على حمل الامانة ، لم تتراجع ، ولم تساوم . . هذا اذا
علمنا ان المفريات امامها كانت كثيرة ووفيرة .

كما ان المجلة شجبت كثيرا من المواقف التي كانت
تتخذها بعض الحكومات العربية من قضايا حرية الرأي
والضمير والفكر ، ودافعت عن كثير من الابداء الذين
منعت كتاباتهم ، او اعتقلوا او سجنوا بسبب نشاطاتهم
الابداعية والوطنية . كما ادانت وفضحت كثيرا من
المؤسسات والمنظمات والاتحادات الثقافية العربية والاجنبية
التي كانت تتخذ موقفا معاديا من قضايا الشعب العربي
المصيرية . وعرت وفضحت كثيرا من الكتاب الاجانب
الصهاينة ، او الذين يتخذون موقفا منحازا الى جانب
العنصرية الصهيونية .

وبهذا الشكل او ذلك ، من اشكال النضال ، استطاعت
« الآداب » ان تفك الحصار عن الكلمة العربية ، وان تكون
منبرا للضامير العربية الحية والاقلام المؤمنة بقضية العرب
الكبرى : الوحدة والحرية والاشتراكية .

حدا لو نتوقف هنا عند « الدور النقدي »
للاداب ، وما لعبته عبر خمسة وعشرين عاما
من حياتها في المسار النقدي الادبي العربي . . .
سواء على صعيد « المصطلح النقدي » بذاته ، ام
على صعيد بلورة اتجاه نقدي واضح ، يدعم
الحركة الابداعية ، ويرتفع بها . . مؤكدا
الكثير من القيم الايجابية التي جاءت بها .

جبرا ابراهيم جبرا :

كان لباب « قرأت العدد الماضي من الآداب » اهمية
خاصة بررت ابتكار الدكتور سهيل ادريس لهذا الاتجاه
في معالجة المقالات ، والقصائد والقصص معالجة آنية
وتفصيلية لم يكن اي كاتب ليحلم بها في ما مضى ، او
اذا نشر في اية مجلة اخرى . وكان لهذه الطريقة في

ويطمس حركة انتقد الادبي العربي الوليدة الناشئة.

د . جلال الخياط :

ان التقليد الذي سارت عليه « الآداب » في نقد ما تنشر ، ولاول مرة بين المجلات العربية ، كما اظن ، عاد على المجلة وكتابتها وقرائها بفوائد ، وجعل الكتاب يحذرون ويقدمون خير ما يستطيعون - كما اشار الاستاذ جبرا - وانتظر القراء ذلك النقد ليروا مدى تطابقه والانطباع انذي احداثه مواد العدد الماضي في اذهانهم . ورافق ذلك التقليد النقدي ترحيب المجلة بمناقشة القراء والكتاب للاراء النقدية ، سلبا وايجابا . . وما زلنا نذكر الخصومات، والمعارك النقدية الحامية التي قدمتها لنا « الآداب » ، وخاصة في الخمسينات ، والاصداء التي كانت تحدثها في الاندية الادبية وجلسات المقاهي واجتماعات الادباء ، وتأثير ذلك بين طلبة الجامعات وغيرهم . .

ولم يقتصر دورها على النقد التطبيقي والاثارة النقدية المفيدة ، ولكن تعدت التطبيق الى التنظير النقدي لقضايا ادبية كثيرة عبر جملة من المقالات النقدية الجيدة، في اعدادها المتتالية ، فكان صدور « الآداب » يرافق تحولات كثيرة في عالم الادب والنقد تبعاً للتحويلات الاجتماعية والسياسية وعمق الثقافة وتنامي الوعي ، ومولد الشاعر العربي الجديد ، والكتاب العربي المتميز . ولو سئلت عن خير مصدر لتتبع الحركة النقدية في الادب العربي ، عبر ربع قرن ، لما ترددت في ان اشير الى مجلة « الآداب » ، وليس لنا حين ندرّس النقد التطبيقي سوى ان نرجع الطلبة الى مقالات التنظير النقدي في « الآداب » ، والى قراءة مواد عدد ما ، ومناقشة نقده في العدد التالي . . . وبهذا اثرت « الآداب » في الحركة النقدية واثرتها ، وقدمت في اعدادها سجلا لمسيرة ادبية مشرفة ، بدأت ببداية عهد جديد لتادب العربي . فانا اعتقد ان النصف الاول من القرن العشرين ، بشعرائه وكتابه ومفكره ، كان يوطيء لهذه النهضة الادبية الحقيقية التي نحيا بداياتها الاولى اليوم ، او كان النصف الاول من هذا القرن طريقا بين عهود الزمن الضائع منذ سقوط بغداد حتى نهاية القرن التاسع عشر، والمستقبل الذي ينضم يوما بعد يوم الى الحاضر .

- جبرا ابراهيم جبرا

كان في وضع الكتابات العربية الجديدة ، عن طريق هذا النقد ، في سياق الابداع المعاصر في العالم ، مزيد من الدفع لها في اتجاهات اتحدائة . وهو دفع كنا رأينا شيئا منه في مجلات اخرى تصدر في مصر ولبنان ، غير ان « الآداب » منحته زخما خاصا ، وجعلته ، بتقديم الخمسينات ، الصفة المميزة لافضل ما يكتبه الشباب من شعر وقصة . . الا انها في تنظيرها الشمري ، في

المعالجة مفعول في انفس الكتاب انفسهم - فضلا عن الاثارة التي كان يجدها القراء ويتمتعون بها حين يطلعون على ما يقوله النقاد - مدحا او قدحا ، تحليلا او « شرشحة » - لما قرأوه هم في العدد الماضي . المهم هو هذا الاثر في انفس الكتاب .

لقد خيل اليّ ان كل من اراد ان ينشر في « الآداب » كان يتحسب لهذا النقد الذي سينشر بعد شهر ، فيحاسبه على ما كتب . وكان في ذلك نوع من التزام الكاتب بأن يقول احسن ما لديه ، وان يصوغه على احسن ما يستطيع ، وان يعنى بجزئياته التي يعلم انها ستعرض لفحص مجهري .

ولما كانت النزعة السائدة في « الآداب » هي نزعة تجديد والتزام للقضايا القومية والمهمة ، والربط بين هذين الالتزامين . . فقد كان لذلك ايضا اثره الخاص في قدح زناد الخيلة لدى الشباب ، والشيوخ ايضا ، ضمن اطار المسؤولية الفكرية التي يحاسب ان كاتب نفسه عليها لمعرفة ، على الاقل ، بأنها ستجابه امتحان الناقد في العدد القادم .

طبعاً ، كان « للاداب » دور نقدي اهم من ذلك بكثير . . فنقد الجزئيات - كنقد قصيدة واحدة او قصة واحدة - لا يحقق اكثر من انتباه خاص لدى من يكتب في برهة معينة . . انما المهم هو النقد ، بالمعنى الاوسع ، لاعمال كبيرة، وبوجه خاص الاعمال الادبية العربية الجديدة ووضعها جميعا في اطار نقد لاعمال كبيرة للاداب الاخرى . فبقدر ما كانت مجلة « الآداب » مجلة عربية تعنى بمرحلة التجديد في الثقافة العربية ، فقد آقامت ، ايضا ، الصلة بين هذه الثقافة والثقافات اتحية في اللغات الاخرى . ولا شك ان التجديد ، سواء في الشعر ام في انتقد ام في القصة ، الذي عرفناه في ربع القرن الاخير ، كان مرتبطا بالكثير من التجديد في الثقافة المعاصرة في العالم ، الذي مثلته مجلة « الآداب » .

- عبدالوهاب البياتي :

بالنسبة لحركة النقد ، استطاعت مجلة « الآداب » ايضا ان تعيد حرائة الارض المحروقة الموصدة في وجه هذه الحركة ، وان تبذر البذور المتنوعة المختلفة ، واستطاعت ، ايضا ، ان تفتح الابواب لكافة الوان النقد الادبي ، الذي كان قد تحجر عند اتلون السلفي الموروث ، او اللون الذاتي المنفعل العشوائي . وقد تم ذلك بفتح صفحات المجلة لكافة الوان النقد الذي مارسه النقاد انفسهم ، والشعراء والكتاب والقصاصون واقراء ايضا ، بحيث اصبح النقد الادبي ليس حكرا على انتقاد حسب ، بل ملك أي كاتب او قارئ ، أو أي ممارس لاي لون من الوان الادب . كما انها غذت حركة النقد الادبي العربية بما قامت به من ترجمات من مختلف حركات النقد الادبي في انعام ، دون أن تدع لاي تيسار منها أن يسود

« الآداب » أن تقضي على الثنائية التي حاول البعض إيقاع الشعر فيها . وبعبارة أخرى : حاولت المجلة أن تنزع عن الشعر بعض ثيابه المثالية التي خلعها عليه أندعاء الآخرون ، وأن تجعل المعادل الموضوعي هو المنقذ من الضلال .

وقد كان لي شرف الإسهام في مجلة « الآداب » منذ صدور أعدادها الأولى ، بحيث أن غالبية قصائد ديواني « أباريق مهشمة » كانت قد نشرت فيها ، وأذكر ، على سبيل المثال لا الحصر ، أن قصيدة « الملجأ العشرون » التي نشرت في العدد الخامس (مايو - أيار) ١٩٥٢ ، قد كتب عنها في العدد التالي (السادس) الأستاذ محمد النقاش ما يلي : « ان هناك قصيدة وسط وأحة الشعر العربي ، على الإطلاق ، أنها « الملجأ العشرون » لعبد الوهاب البياتي ، فهذا التحليق الى أسمى المعاني ، هذا التحليق الى دنيا الملاحم على أجنحة حادث يومي تافه ، فتح جديد في لغتنا ، وآني لاتساءل اذا كان في امكان التاريخ أن يحصل على أبداع وأروع وأوجز من هذه الصفحة فسي تصوير حالة اللاجئيين الفلسطينيين » ..

وقد شعرت ، في تلك السنة الموهلة في البعد ، بالفخر والاعتزاز بهذا النقد الموجز لقصيدتي ، مما دفعني على مواصلة مسيرتي الشعرية بعزم أمضى واردا اقوى .

— د. جلال الخياط :

أود ان أؤكد هنا حقيقة تاريخية .. هي انه في نهاية الاربعينات كانت محاولات الشعراء الجدد الذين استطاعوا بجرأة ان يقدموا أساليب مفايرة ، باقامة علاقات غير مألوفة بين الالفاظ ، وصولا الى جملة شعرية خاصة تتوزع على جهود فردية مستقلة ، بدت على استحياء ، لأول مرة ، وتطلع أصحابها إلى اطمئنان ووثوق تامين بما يفعلون ، حتى وجدوا ملاذا في مجلة « الآداب » فاستطاعت ببراعة ان تؤطر تلك المحاولات ، وأن تمنحها مجالاً حقيقياً ، وأن تؤكد على مضامين تعبر عن العصر تعبيراً صادقا . وشجبت « الآداب » الموضوعات الفردية المحدودة ، وأحلت المضمون العام مكان الفردي ، وفضلت شاعر القضية على الشاعر التجريدي المطلق .. وبهذا اشترطت الصوت الخاص للشاعر ، عبر وعيه لهموم الآخرين ، بأصالة العملية الشعرية .. ورقضت الشعر السطحي القائم على البديهيّات المعروفة .. فأحترمت قراءها ومستوياتهم الثقافية وقدراتهم على المشاركة في التجربة الإبداعية وتمثلها وفهمها بصورة دقيقة .

ولو سلّمت ، مرة أخرى ، عن أهم مصادر دراسة الشعر الحديث في الربع الثالث من أقرن العشرين ، لأشرت الى مجلة « الآداب » دون تردد .. ولاكدت على العدد الخاص الذي صدر سنة ١٩٦٦ .

ان دور مجلة « الآداب » كبير ، ومؤثر وفعال .

سنواتها الأولى ، كانت أبعد وعيا من الشعر الذي سمحت لنفسها فعلا بنشره ، وهو ما تداركته فيما بعد .

وقد ساهمت « الآداب » (بعد ان فعلت ذلك مجلة « الاديب » لوقت ما) في اخراج انتقد العربي من نطاقه المحدود ، سابقا ، بمراجعة الكتب ، الى آفاق الدراسة التفصيلية المدعومة بالفكر والمعرفة المتنوعة . وبهذا كان لها دورها الكبير في ادخال النقد العربي في مجال العمالية الإبداعية نفسها ..

— عبد الوهاب البياتي :

— بالنسبة لحركة الشعر الجديدة ، كانت مجلة « الآداب » هي المجلة الأولى التي استقطبت رواد هذه الحركة ، ومريديها وتلامذتها ، وفتحت لهم صفحاتها ، بحيث ان صدور هذه المجلة كان بمثابة علامة أو نبوءة بأن زمن الشعر التقليدي قد بدأ يمضي وينتهي ، أو انه لم يعد قادرا أو مستطيعا على استيعاب هموم الانسان العربي الذي خرج من عصر المجاعة الروحية والمادية .

— د. جلال الخياط :

ويمكن القول ان مجلة « الآداب » حد فاصس بين نوعين من الشعر .. الاول نسميه شعر ما قبل المطبعة ، ان صح التعبير ، بأن يكون أسلوب القائيا خطايا مباشرا سخابا مؤثرا .. والثاني : قصيدة ما بعد المطبعة ، بأن تكون للقراءة لا للقاء ، وأن تسود جملة شعرية جديدة بعيدة عن الخطابية في القصيدة المعاصرة ، لا يحس معها القارئ بأي نوع من الاغتراب والانفصال والانفصام بينه وبين الحدث ، وبين عصره ومواجد الشاعر .. وقد نجحت في أن تؤرخ للشعر الحديث ، بأمانة ومتابعة ذكية ، ومصاحبة لنقد للشعر باحكام .

— عبد الوهاب البياتي :

.. كما ان « الآداب » عصمت حركة الشعر الجديدة من الوقوع في الضلال والانجراف وراء الدعاوى التي تبنتها مجلات أدبية أخرى . وقد لعبت « الآداب » دورا خطيرا في تركيز اعلام الشعر الجديد ، وعلى حفر انهار جديدة لهذه الحركة التي ظلت تهدر وهي تمضي نحو المستقبل . « فالآداب » احتضنت المصطلح الشعري الجديد من خلال احتضانها للشعراء المبدعين ، ومن خلال حركة النقد للشعر ، التي ظلت في جدل مستمر ، بما كان يصب فيها من آراء وافكار ووجهات نظر مختلفة ، كانت تلتقي لكي تختلف ، وتختلف لكي تلتقي . ولكن المصطلح الشعري الذي احتضنته المجلة ، من خلال احتضانها للشعراء ، استطاعت أن تثبت أقدامه في طريقين ، بل في طريق واحد وان كان يلوح بأنه طريقان : الشعر من جهة ارتباطه بحركة المجتمع العربي والانساني ، ومن جهة ثانية ارتباطه بذاته ولذاته ، وبذلك حاولت